قراءة سيميولسانية في قصّة "حلم الصيف" لعبد الحميد بن هدوقة

A semio-literal reading in the story "A summer dream" by Abdelhameed Ben Haddouga

د.بن مالك حبيب

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، benmalek_habib2000@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/05/03 تاريخ القبول:.2020/05/07 تاريخ النشر: 2021/06/01

الملخص: يشكّل أدب عبد الحميد بن هدوقة حلقة مفصلية ضمن المنظومة الإبداعية الجزائرية لما بعد الاستقلال خاصّة. إذ أنّه يبرز كلسان حال جيل بأكمله بآلأمه و آماله، و يسعى، في ثوب طلائعي، للتأسيس لمشروع مجتمعي و فكري يحمل هواجس الحرية و التحرّر و البناء أيضا. و جدير بالذكر أنّ هذا الأدب الذي ترجم إلى اللّغة الفرنسية تحديدا من قبل مارسيل بوا، حتى جعل منه تخصّصا نوعيا متفرّدا، باعتباره أدبا مؤسّسا، خضع في أكثر من سياق لمحاولات نقدية–أكاديمية أو غيرها– اقتربت من نصوص الكاتب ضمن مساقات مختلفة و منظورات متنوّعة تلتقي، على الرغم من منطلقاتها الإبستيمولوجية المتباعدة، حول قيمتها الفنية و الجمالية و الموضوعاتية. تهدف هذه الورقة لفحص البنى السردية و الدّلالية لأحد أهمّ هذه النصوص و الموسوم بـ "**حلم الصيف**"، و الكشف عن أشكال انتظام المعنى في صلبه ضمن مقاربة تسعى لأن تكون سيميائية.

كلمات مفتاحية: بنية سردية– سيميائية –عبد الحميد بن هدوقة– تمفصلات منطقية

Abstract

Abdelhameed Ben Haddouga's literature is a pivotal axis in the Algerian creative system, mainly after the independence. As it shows off an entire generation‘s hopes and pains, and seeks, in an avant-garde profile, to establish a societal and intellectual project that bears the concerns of freedom, liberation and construction. It should be noted that this translated literature into French, specifically by Marcel Bois who made it a unique specialisation, being a fundamental literature, was subject, in more than one context ,to academicattempts reviews or other that approached the author's texts from different paths and varied perspectives despite their divergent epistemological perspectives,converge on their artistic, aesthetic and thematic value. This article aims to examine the narrative and semantic structures of one of the most important of these texts, which is tagged with the 'summer dream', and to reveal the forms of regularity of meaning at its core in an approach moving to be semiotic.

Keywords narrative structure - semiotics - Abdelhameed Ben Haddouga - logical joints

1. مقدمة:

تهدف هذه الدراسة الى استجلاء المضامين الدلالية في قصة "حلم الصيف"، وسوف لن يتم ذلك الا من خلال تطويق البنى السردية التي تتكفل بهذه المضامين في مستوى معين من التجلي، طالما أن، يقول كورتاس " الانتقال من المحايثة إلى التجلّي اللساني يمر عبر تمفصلات متكاملة محددة بـ"نحو" نوعي "[1].هكذا إذا، سنقصي من دراستنا هذه كل معطى خارج نصي لا يفيدنا– على الأقلّ مرحليا– في استيعاب الآليات التي تتحكّم في اشتغال نظام القصة، من منطلق أن المعنى والدلالة لا يوجدان إلا في شبكات العلاقات القائمة بين المكونات " المؤهلة للدخول في نظام تقويم و إنشاء للخلافات"[2]، ولو أن التفكير حاليا يسعى فعليا الى التأسيس لمنظومة نقدية كفيلة باحتواء المرجع فيما يشار إليه ضمن التداولية بمفهوم العملية التلفظية[3]الذي لا يتيح السياق بالوقوف عنده بالقدر الّذي يليق.

المجموعة القصصية التي انتقينا منها المدونة موسومة بـ"الأشعة السبعة" ولقد صدرت لأول مرة في أواخر سنة 1961 عن الشركة القومية التونسية للنشر والتوزيع. وحتى يتسع للقراء الجزائريين الاطلاع عليها أعاد الكاتب طبعها في بلده، بعد إخضاعها للتعديل ولترتيب جديد، وبعد أن أضاف إليها قصتين حديثتين معنونتين على التوالي بـــ:" حلم الصيف"، و " الوصية ". ولئن بدا الفارق بين الطبعتين، الأولى والثانية، ذا بعد زمني ورقمي بالدرجة الأولى (عدد القصص في المجموعة الأولى 11، و13 في الثانية، الفاصل بينهما 20 عاما)، فان الأمور في الحقيقة قد تكون– وذلك اعتراف القاص نفسه– أعمق من ذلك بكثير، إذ يقول :" أضفت الى هذه المجموعة قصتين جديدتين، من آخر ما كتبت ...لتتبين للقارئ مسيرة كاتب جزائري في ميدان القصة القصيرة، فيقارن بين قصص الشاب الذي كنته والكهل الذي هو أنا اليوم، وفي تلك المقارنة لا بدا أن يخرج بنتائج، اعتقد أنها جديرة بالاهتمام[4].

فالعمق الذي نقصده ههنا أكبر من أن يختزل في اعترافات سيرية كهذه، لا تملك أن توجه قراءتنا بالشكل الصحيح بقدر ما تبرز كإضاءات تكشف عن قسط كبير من الهواجس الفكرية، حمله أحد رواد الانتلنجسيا في الجزائر والعالم العربي. إن ما نعنيه تحديدا هو التحول الفني و الموضوعاتي في إبداع بن هدوقة، والقصصي منه بوجه خاص، الذي يحمل في ثناياه، وبعيدا عن أي حكم قيمي جاهز المقومات النوعية ذاتها التي تفردت بها كتاباته الروائية الرائدة مثلما يؤكده الأستاذ التونسي بوشوشة بوجمعة في أحد مقالاته و هو يتحدث عن " ريح الجنوب" مثلا: " يعتبر نص " ريح الجنوب" للقصاص الروائي الجزائري عبد الحميد بن هدوقة باكرة الإبداع العربي في الجزائر إذ ظهرت سنة 1971 وبعض الأعمال التي سبقتها لا تعدوا أن تكون محاولة في الكتابة الروائية، تفتقد إلى الشروط الفنية التي يقتضيها هذا الجنس الأدبي".[5]

على أية حال، ينبغي التأكيد هنا على أن الممارسة النقدية العقلانية وحدها كفيلة بالتحقق الصارم من هذه الآراء التي لا تتجاوز آنيا حد الفرضية القبلية. وفي هذا الاتجاه، تسعى هذه المقاربة إلى فحص المستوى السطحي بمركبيه الخطابي والسردي، للحكاية موضوع التحليل. عمليا سنحلل الوحدات النظمية مرتكزين بالمرة وكلما دعت الضرورة إلى ذلك على الصور والمسارات الخطابية والعمليات المنطقية.

1- التنظيم الإجمالي للقصة:

تنفتح القصة على وضع يتسم بحالة انقباض dysphorie حل ليهز استقرارا يمكن استخلاصه ضمنيا من النص و تكون العائلة قد عاشته إلى غاية اللحظة السردية التي استُهلّ بها الخطاب :

قبل/ مسار انفراج ↓ **بعد / مسار انقباض**

يتولد هذا التحول الحدثي أساسا عن رغبة في التحرّر من الواقع الذي صار لا يفي بالمقتضيات الحياتية الآنية، إنّه ليس تحرّر من الاستعمار هذه المرّة و لكنه تحرّر من عزلة الوطن المستقلّ أخيرا مثلما نرى لاحقا.

فالسفر إلى الخارج إذا و تجاوز الحدود الترابية يشكّل الموضوع البراغماتي الذي تستثمر فيه قيمة الحرية. فتماسك العائلة في القصة يرتهن– أو ترهنه الزوجة بوجه أصح – بمدى انسجام الزوج ظاهريا مع سفرهما هما الاثنين إلى الخارج. ومن ثم كانت المواجهة شكلية بين الفاعل والفاعل المضاد Sujet vs Anti–sujet بعد " تماطل" (أو رفض؟) الزوج الذي لم يصمد موقفه طويلا لينتهي به الأمر أخيرا إلى الانضواء تحت برنامجها وبالتالي الانسياق عن مضض إلى وضعية نقص تنازل فيها عن كينونته، و بعدما اعتنق قيما لم يكن يؤمن بها يوما. في هذا المستوى من السرد ستأخذ القصة منعرجا حدثيا مختلفا عن ذلك الذي أراده لها الراوي من البداية، ففكرة السفر إلى الـ"هناك" التي تبرز كمحركForce motrice فعلي للأحداث تصير إلى الدرجة الصفر من الدلالة بعد أن الغيت الحدود بين الجزائر وتونس، وتقررت الوحدة بينهما – أو بين الداخل والخارج–، والزوجان ينتشيان لحظات الحلم والنسيان في شارع بورقيبة.

بعد هذه المعاينة المقتضبة للمحاور الكبرى داخل القصة، والتوجهات الأساسية فيها، يجدر بنا أن نقارب بشكل معمق التمفصلات الرئيسية من خلال رصد البنيات السردية التي تخترق النص وتمنحه تجانسه الدلالي. بداية نلاحظ أن "حلم الصيف" رحلة بعث للحياة الزوجية المهددة بالتمزق، جراء السفر وهي تقوم تركيبيا على البنية النحوية، الملازمة الكامنة في النص السردي و التي تبدو كما يلي:

(فا1 U م ← U فا2) (فا1 n م ∩ فا2)

(فض1 ∪ فض2) (فض1 ∩ فض 2)

في مستوى أعلى من التجلي اللساني تحيل هذه العناصر إلى الممثلين:

فا1: الزوجة؛ فا2: الزوج

فض1: الجزائر؛ فض2: تونس م – السفر

يشير النظيمان على التوالي إلى التحول من حالة عالقة – من وجهة نظر الزوجة إلى حالة وصلية بين الزوجة والزوج.

فالملفوظ السردي: "إما أن ترافقه أو تفارقه " (107) يشف عن وضعية نحوية معلقة: الانفصال بينهما مع بقائهما متصلين. من جهة دلالية و منطقية نقول أن:

- على محور التضاد من المربع السيميائي فا1و فا2متصلان ومنفصلان معا.
- على محور التناقض من المربع السيميائي فإن فا1 و فا2 لا متصلان ولا منفصلان بالمرّة.

في هذا المستوى، نجدنا امام حالة سيميائية شاذة، و الحال أن كورتاس في كتابه الموسوم بمدخل إلى السيميائية السردية والخطابية(Introduction à la sémiotique narrative et discursive)أشار إلى أنه ثمة إمكانية لسيم ثالث محدد للوظيفة – الصلة fonction– jonction التي تتفرع اعتياديا إلى سيمي الوصلة والفصلة، فيقول: " يمكننا الإشارة هنا، إلى إمكانية وظيفة أخرى، لم يسبق وأن استغلت، أي التعليق، التي تتصل وفقا للمربع السيميائي بالنفي المتزامن للوصلة و الفصلة " ص 65.

هذا وبإمكاننا وسم الصيغتين أعلا تبعا بـــ / الثبات/ضد/ اللاثبات/.

أما النظيم الثاني فيمكن قراءته كانتقال من التمزق بين الفضاءين تونس والجزائر إلى التئام بينهما أو كما يقول الكاتب إلى" تحقق الحلم بالحلم".

1-1 البحث عن الإرادة:

البرنامج السردي الذي تفصح عنه المقطوعة الأولى، و الذي تفعله الزوجة، يحيل على الإستراتيجية المتبعة في إخضاع الزوج لإرادتها في فعل السفر. فتلجأ إلى الابتزاز أو التهديد الذي ورد نصيا على لسان السارد: " لكن ما العمل؟ أيبيتم أبنائه؟". ص 112.

" وبما أن السفر صار أمرا واقعا وإلا انجر عنه عدمه نسف الحياة الزوجية من الأساس "ص111.

" الزوجة عقدت العزم في هذه المرة: إما أن تفارقه، أو ترافقه " ص 107.

و تأسيسا على ذلك فإنها تحتل الوضعية النحوية position syntaxique de destinateur للمرسل لترسي عبرها فا2 في وضعية مرسل إليه ضمن علاقة غير تناظرية: assymétique

/مهيمن / ضد/ مهيمن عليه/

Dominé vs dominant

يتمظهر هذا الاختلال العلائقي من خلال مجموعة من المسارات الخطابية، يسوقها السارد تارة:

- " لم تعد هناك حجة لدى الزوج " 107
- " إذا كان يراوغ بحجة الأطفال فلن تبقى معه " 108
- " الزوجة مصممة هذه المرة " 108

والزوجة نفسها تارة أخرى:

" السفر لابد منه "107

" لم أطلب المستحيل "107

نذكر فقط في هذا المقام بأن قراءة الملفوظ الافتتاحي بشكل خطي كرونولوجي يفتح السيرورة الحدثية على إمكانيتين سرديتين مختلفتين، فعليه وبالنظر إلى طروحات كلود بريمون C .Brémond، ليس هناك ما يعزز هذا الاحتمال أو ذاك بحيث يؤكد: " السابق لا يستلزم أبدا اللاحق "،[6]من جهة أخرى، يبدو واضحا انه بالرغم من وجود فعل السفر في خانة موضوع قيمة أساسي من البنية العاملية إلا أن الافتراق أيضا يسوغ له احتلال الموقع نفسه، ومرهون تحققه بفصلة فا $_1$ عن م :

فا$_1$ (فا$_1$ ∩ فا$_2$) (فا$_1$ ∪ فا$_2$)

لدينا إذن فاعلان مضمران محينان محددان بجهتي الإرادة والوجوب:

فاعل مضمر	فاعل محين	فاعل محقق
+	+	–

يشكل هذا التوزيع للأدوار العاملية جوهر الشكل التعاقدي المبني بالأساس على الأشكال السيميائية التالية:

- التهديد الذي تحاول الزوجة من خلاله إرساء الكفاءة الجهاتية للمرسل إليه ودلاليا يمكن قراءة هذا الفعل من منظوري عاملي التحريك، أي المرسل و المرسل إليه كـما يلي:

المرسل إليه	عدم القدرة على عدم الفعل	عدم وجوب عدم الفعل المرسل

Ne pas pouvoir faire ne pas faire

- الإغراء الذي يتجلى في الملفوظ: " أنت أجمل من كل الرجال الموجودين على ظهر الدنيا... "ص 109.

- الإقناع: الذي يحتاج بدوره إلى برنامج سردي نوعي تتحول الزوجة بموجبه إلى فاعل محدد بالكفاءة الجهاتية الإضمارية والمحينة معا.

فإذا كانت المعرفة متوفرة لديها بشكل فطري، فإن القدرة على الإقناع، الذي نقدّر من منظورنا أنّه عقلنة لضرورة السفر، مستمدة في البعد الذهني أو المعارفي، من المرسل الجماعي[الناس، فائزة، الجزائر، الحركية التاريخية والمجتمعية]:

" كل النساء سافرن إلى الخارج " 107

" اعمل كما يعمل الآخرون " 108

" فائزة سافرت هي وزوجها " 108

و في سياق متّصل، لو تصورنا أن السفر –باعتباره اختراق لفضاء مغلق– شكل من أشكال التحرر النسوي، ونتيجة لنضال ما، يجابهه الرجال كونه جنونا أو شذوذا عن الضوابط المجتمعية، وهو ما نلمسه من الملفوظ السردي: " إنها يقينا لا تعرف معنى السفر هي وكل النساء اللواتي جن جنونهن في هذه السنة من أجل السفر إلى الخارج 108".

أمكننا أن نتوقع برنامجا سرديا افتراضيا ببنية عاملية قد تقترب نسبيا من الآتي:

الفاعل: المرأة

الموضوع: مجتمع تقدمي

المرسل: الحركية التاريخية (الجزائر تبدلت "107")

المرسل إليه: المرأة

المعارض: الرجل

المساعد: السلطة ("ما إن ارتفع هذا القيد حتى هب الناس لمغادرة الجزائر "112)

إن قراءة في الملفوظ " الحياة تبدلت " 107 الوارد على لسان السارد الشاهد، تحيل إلى تقاطع بين زمن الحكاية وزمن المتلفظ/ قبل/ ضد /الآن/:

بحيث كانت المرأة سجينة الجدران و الطابوهات، وخاصة لمنظومة قيم ألغت كينونتها في اختراق الفضاء، أما الآن فالأمور لم تعد كذلك والحديث بتلك اللهجة الآفلة، كما يقول النص، صار: " قصة تحكي للأطفال" 107. يتضح لنا من ذلك أن السفر في هذه النقطة من السردي يبرز كموضوع للتحري تستثمر فيه قيم التحرر و تحقيق الذات. و الحال أنّ برنامج الإقناع الذي تؤطره و تنفذه الزوجة يستهدف فعلا تحويليا الغرض منه إزاحة الزوج من وضعية المعارض وإدراجه في موقع فاعل منفذ و في الوقت نفسه عامل ينتمي على فئة المساعدين. يتمفصل هذا الفعل الافعالي Faire factitif المتموقع في البعد المعارفي، نصيا، مع برنامج مضاد يحاول فا$_2$ من ورائه حمل فا $_1$ على العدول عن فكرة الذهاب ومن تم الدخول في وصلة مع إعادة النظام، و هو ما لم يتحقق ويبقى في حدود الإرادة المضمرة vouloir ne pas faire virtuel لأن الزوج يفتقر إلى المقومات الجهاتية المحيَنة التي تسمح له بأداء الفعل التحولي. والواقع أننا هنا أمام تضاعف للبرنامج السردية Dédoublement du programme narratif. ويمكننا اختزال رضوخ فا 2 لمطلب فا 1 نحويا في الصيغة التالية:

بـــ س: فـــ ت {فا 2 (فا1 ∩ فا2) (فا2 U م) }

لنسجل أخيرا في هذه المقطوعة، أن الفعل الأدائي يشتغل على فعل الكينونة، ما يدل على أن موضوع رهان الصراع جهاتي بالدرجة الأولى كونه يستهدف إرساء الزوج فاعلا مضمرا من حيث الإرادة و الوجوب.

2- البحث عن المساعد:

نسلم بادئ ذي بدءأن هذه المقطوعة الوسيطة، تشكل بالنسبة إلى البنية السردية الكليةMacro – structure narrative الانتقال من الكفاءة إلى الأداء، و هذا التحول السردي ستكون له تداعيات على مستويات عدة، و أخص بالذكر المستوى العاملي و المضامين الدلالية، و سنقف عند هذه المسألة بشيء من التفصيل.

لقد رأينا من قبل كيفية تمفصل البرامج السردية داخل المقطوعة الأولى، برامج ينتظم توزيع الأدوار فيها وفق محاور دلالية محددة، نقصد تلك المحددة بالرغبة والإبلاغ:

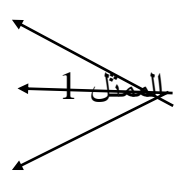

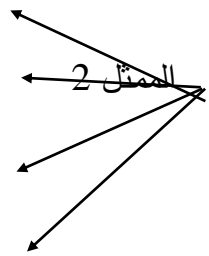

يتمظهر الفعل التقويمي الذي يمارسه الزوج خطابيا من خلال المسار التالي الذي يأتي على لسان السارد تارة: " هذه الأفكار التي مرت في ذهنه بفضل تصريح زوجته جعلته يرضخ لقرارها "111

ثم على لسان الشخصية ذاتها تارة أخرى: " إذا كان لا بد من السفر فلنذهب إلى تونس "111

إن هذين الملفوظين اللذين يؤثران في تغيير المجريات العامة للقصة، ينطويان على دلالات تتصل بأصعدة مختلفة يمكننا إيجازها في النقاط الآتية:

- على مستولى العلاقات الإنسانية، ثمة تحول في بنية السلطة الأسرية، منحدر من إعادة توزيع الأدوار الموضوعاتية التي تكشف عن تغير موازين القوة من الزوج إلى الزوجة، و هو ما يتطلب قراءة أنثروبولوجية واجتماعية نوعية: الأبوية الأموية.
- على المستوى السردي ينتفي الطابع ألصراعي (السجالي)[7] عن المواجهة، طالما ان الزوج لم يقدم على أكثر من تزكية إرادة الزوجة، و صورة الرضوخ تشير إلى أن الزوج الذي يبدو ظاهريا (≠ الكينونة على صعيد المربّع التصديقي) رافضا لفكرة السفر لا يعدو عن كونه مجرد مماطل. ولا شك أيضا أن الفارق بين الأمرين شاسع، وحتى تتضح المسألة أكثر سنسقط كليهما على حدود المربع السيميائي، لنحصل على ما يلي:

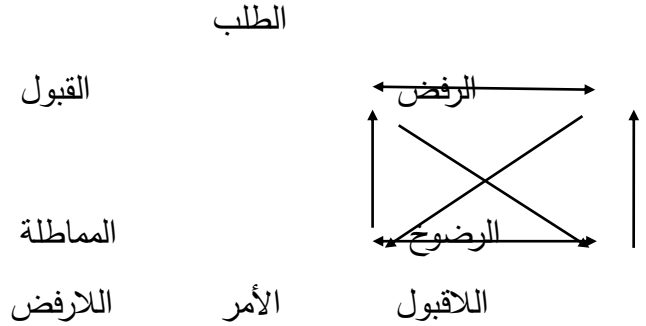

من خلال هذه التفريعات، يتموقع الزوج منطقيا في محور الرفض و ينحصر موقفه في محور الأضداد. إن رفضه " غير المطلق" يعتبر قبولا مؤجلا ليس إلا، بل إن الرفض تحديدا نسبي لا وجود له خطابيا، ولا يتجلى إلا ضمنيا، من خلال جملة الحجج "الواهية" في نظر السارد و المرأة، انطلاقا منها ظل يحاول عبثا أن يقاوم ما قد تقرر سلفا من قبل الزوجة.

يمكننا القول إذن أن الرضوخ بوصفه فعلا تأويليا فإن الزوج بموجبه يخضع لمسار انتقل من خلاله من الكينونة إلى الظاهر.

لنعد الآن إلى التنظيم النحوي للفعل – السفر وللتحول المزدوج الذي يستلزمه:

(فا$_1$– فا$_2$ م ق) (فا$_1$–فا $_2$ ∩ م ق)

م ق : السفر

إن التساؤل المطروح في هذا المستوى من التحليل، يخص موضوع التحري داخل هذه القصة: ما هي طبيعته السيميائية؟ و ضمن أي منظور ينبغي مقاربته؟ ومع أي وضع سردي (بما يلازمه في مستوى التجلي الخطابي) يمكنه أن يتكشف؟

تميز السيميائية بين صنفين من القيم: الاستعمالية و الأساسية. واستثمار هذا أو ذاك منها داخل موضوع ما، كفيل بتحديد أهمية برنامج سردي بالنسبة إلى آخر و إلى الكل الخطابي السردي. يقول غريماس.أ.جفي القاموس المعقلن[8]:

«يتحدد الموضوع أو – موضوع القيمة كحيز استثمار للقيم (أو للأوصاف) التي يوجد الفاعل في وصلة معها أو في فصلة عنها».

لسنا هنا بصدد عرض نظري للمفاهيم، غير أن هذا الإيضاح الإجرائي ضروري لتلمّس كيفية اشتغال النموذج العاملي داخل النص وبالتالي التوصل إلى الإحاطة بطبيعة العلاقات القائمة بين الممثلين والتي ينشئها الموضوع باعتباره رهان أو مجموعة رهانات؛ من هذه الزاوية، نلاحظ أن السفر في نص بن هدوقة لا يحيل إلى المتعة التي سيحققها للزوجة فحسب (الترحال، السياحة...) وإنما سيتجاوز هذه الوظيفة ليكون قرينة لـ" الإيديولوجيا" التي تتبناها الزوجة ضمن الفاعل الجماعي 'المرأة' و 'الجزائر'، القرينة هنا بالمعنى ذاته عند رولان بارث، أو عند شارل ساندرس بورس: الجزائر كلها ذاهبة إلى تونس: ص118. لذلك

فإن العلاقات التي يقيمها داخل الخطاب مع المسارات الصورية المختلفة تفضي به – باعتباره وحدة دالة unité signifiante– إلى مدلولات متنوعة:

- **فالسيم الزماني**، يحيل في هذا السياق إلى الالتقاء التاريخي مع ذهنية الآخر التي تتبع فيما يبدو وتيرة طبيعية أي أن البقاء هنا في الجزائر، يعني بالنسبة إلى الزوجة وإلى الفاعل الجماعي ككل مكابدة للانسداد الحضاري الذي تعرفه البلاد والذي تجسده الذهنية الرجعية المتخلفة: «إلى متى تبقى هي قابعة هكذا بين أربع جدران... مكوث المرأة في بيتها، صار قصة تحكى للأطفال.» ص 107. والواضح أنه (أي السفر) في حد ذاته كفعل–انتقال بغض النظر عن الوجهة المنوط بها داخل النص، كفيل بتحقيق هذه النقلة، التاريخية من الراهن المأساوي إلى الصيرورة الانشراحية كما يتضح من المقولات الدلالية التالية:

- /القيد / ضد / الحرية/

/قبل السفر/ ضد /بعد السفر/

مالعزلة/ ضد /الانفتاح/

/إلغاء الذات/ ضد /نحقيق الذات/

/الإقصاء/ ضد /المشاركة/

/العدم / ضد / الكينونة/

/ الثبات / ضد / الحركية

في هذا السياق لا يفوتنا أن نسجل بأنه لئن كانت تونس تبدو فضائيا الحيز الذي تحقق فيه هذه القيم، فإن الحقيقة في ماهيتها غير ذلك تماما. فهذا البلد يعتبر امتداد متعدد الأبعاد للجزائر، وبالتالي فإن التمفصل بين حدود الثنائيات أعلاه لا نعتبره معقولا إلا بالقدر الذي

تتماهى فيه تونس مع الخارج أو الهناك: «... تسافر إلى الخارج، لا على جهة من جهات الجزائر.» ص 108 مثلما سنرى.

- **السيم الفضائي:**

تسعى الزوجة من خلال السفر إلى اختراق الفضاء الذي يحتويها، فضاء يعتريه الحرمان و القمع وجميع صور الفساد وعدم أهلية المسؤولين:

"كل شيء مفقود حتى الخضر والفواكه، وإذا زار مسؤول مركزا تجاريا صنفت أشياء نسي الناس وجودها لتختفي بعد خروجه من جديد ! أترى هل يجهلون حقيقة ما هو واقع، أو يتجاهلون؟..." ص115 فهذا الوضع المتردي كان يحول مرارا بين الزوج وبين نجاحه في إقناع زوجته بعدم السفر إلى الخارج و بالتالي حملها إلى تنفيذ برنامج التنقل داخل الفضاء الواحد: "الزوجة هذه المرة مصممة... في هذه المرة تسافر وتسافر إلى الخارج لا إلى جهة من جهات الجزائر" وهو برنامج سيتحقق داخل القصة لما تتقرر الوحدة بين الجزائر وتونس، وتلغى الحدود في آخر مقطوعة سردية، الأمر الذي على إثره تفقد البرامج الأساسية دلالاتها باعتبار أن الخروج من الجزائر يرمي من بين ما يرمي إليه، إلى الإحساس – من منظور الزوجة وبالمعنى النفساني – بالاختلاف في العناصر النوعية للفضاءين الذين تعني الوحدة بالنسبة لها فقدان هويتها لصالح "هوية مجهولة."

3-تحقيق الوصلة مع الخارج:

وفقا لمبدأ تضاعف البرامج السردية، تستلزم الوصلة مع تونس ملفوظ حالة فصلي مفترض و ملازم:

(فا$_1$– فا$_2$ ∩ ف$_2$) (فا$_1$– فا$_2$ U ف$_1$).

ف= فضاء

تحتل الزوجة في هذه المقطوعة دور المرسل. ونلاحظ أن جهة الإرادة عند الزوج و إن بدت لنا معطى مسلم به على مستوى الظاهر (‡ عدم الرغبة على المستوى الكينونة+ الوجوب)، إلا أنها تكاد تنعدم تماما على مستوى الكينونة. فالحوارات الداخلية للزوج في أكثر من حالة، تحيل جميعها إلى طبيعة العلاقة التي تربطه بزوجته فأمام جميع الحالات التي تفتح مجالا للسجال نجده ينصاع لإلحاحها مهزوزا لا يقوى على الثبات، وكأنه يتلذذ بمنظره وهو يعاني وطأة الظروف التي تضعه في كثير من الأحيان في موقف الضعف، بل كثيرا ما يتطور الأمر في مجموعة من المقاطع السردية، إلى حد الإذلال، فلا يكاد يخلو خطابه أثناء تحاورهما من صيغ التعقل، والمجاراة، فتأتي على لسان السارد مجموعة من المسارات الخطابية التي يتحقق فيها التمظهر الخطابي الذي يمكننا وسمه بشكل فرضي: "اختلال العلاقة الزوجية":

-"تجاوز عن هذا التعريض لكرامته"،

-"فضلت أن تسبغ عليه الصفة الأولى (ساذج)"ص109.

في هذا السياق سنحاول أن نتحقق من مدى تطابق هذا البرنامج (السفر) مع بنود العقد المبرم بين المرسل "الزوج" (فلنذهب إلى تونس...) وبين المرسل إليه "الزوجة + الزوج" كونهما العاملان الذين يفترض أنهما يحققان الأداء الوصلي مع الموضوع.

الملاحظ في هذا المستوى من التحليل، أن هذا الاداء الوصلي يحقق ملفوظي حالة وصليين في آن واحد:

(فا1 +~~فا2~~ U م ق) (فا1 + فا2 ∩ م ق).

أما الثاني فيمكن صياغته بالشكل التالي: (~~فا~~1 U م) (فا1 ∩ فا2)

فالوضعية العالقة بين الزوج والزوجة في بداية القصة والتي استلزمت منطقيا برنامجين افتراضيين مختلفين انتهت بالوصلة بين الفاعلين وبالتالي بقاء برنامج "الفراق" في حالة افتراضية على مستوى الكفاءة فقط.

لنتذكر أن المقطوعة الأولى بأكملها تشتغل على المحور أو البعد المعارفي، و أن أداء المرسل فيها يبنى تحديدا على الرسائل المبلغة أو التي يجري تبادلها بين فا1 و فا2، ويتم تجييهها على مستوى الكفاءة بالرغبة والوجوب (فا1) وبعدم إرادة عدم الفعل + وجوب الفعل (الزوج). من ناحية أخرى فإن الأداء كان سيتم كما رأينا بحكم القيم التحررية (الخروج من البيت، تغير الذهنية (التحرر من الحدود...) وأيضا القيم الذاتية (التباهي أمام الآخرين)، والقيم التجارية (شراء ما ينقص في الجزائر) أو الموضوعية. نلاحظ أننا هنا بصدد الحديث عن السفر كفعل في ذاته يجسد القيم الذاتية و كوصلة مع "الخارج"، تتحقق فيه القيم الموضوعية (التسوق).يتجلى انتقال الشخصيتين المحوريتين داخل النّصّ في صورة اللّيكسيم "السيارة" وكثيرا ما نصادف هذا الموتيف (= الوظيفة الانتقالية) في الحكايات العجيبة.

ملحوظة:تتخلل المقطوعة الأولى بعض المحاولات يسعى الزوج من خلالها لا إلى إيقاف برنامج السفر ولكن لتشغيل برنامج سردي لن يكون له تأثير مباشر على المجرى العام للقصة، بما أنه توسيع لا غير لصورة الخنوع والانصياع، ولكنها تنطوي على دلالات هامة على المستوى المضموني، يتعلق الأمر بفعل تأويلي للأداء (السفر) وللمرسل الذي يقف وراءه:

يتجسد هذا التقويم في الملفوظين: "لعن الله زوجتي هذه التي تنام إلى جانبي".

"لعن الله السفر بلا ضرورة إليه".

فطبيعة الموضوع إذا تختلف من فا1 إلى فا2:

الزوج ∩ موضوع سلبي

السفر

الزوجة ∩ موضوع إيجابي

إن برنامج السفر مركب بما يستدعي اللجوء إلى برامج ثانوية (استعمالية وحتى ملحقة) تستهدف تسخير الشروط الضرورية لتمكين الزوجين من الكفاءة الجهاتية المحينة compétence modale actualiséeخاصة جهة القدرة على الفعل، وخلافا للمقطوعة الأولى، فإن المقطوعة تتموقع في البعد البراغماتي pragmatique Dimension (‡dimension cognitive) مادامت ترتكز سرديا على تحقيق الأداء الواصل بين الفاعل وموضوع القيمة، يمكننا إحصاء هذه البرامج الثانوية في ثلاثة وحدات:

- إعداد عدة السفر: وهو برنامج تتفرع عنه بدوره برامج ثانوية أخرى، نحصرها في:
  - اقتناء العملة الصعبة
  - ضمان الأكل
- تخزين الوقود
- تهريب العدة عبر الحدود

تهدف هذه البرامج إلى تمكين الفاعل الجماعي (فا1 وفا2) من ضمان نقل المواد الأساسية من الجزائر إلى تونس. والحقيقة أن النص لا يخبرنا عما إذا كان الإقبال على هكذا برنامج ناجم عن عدم وفرتها في تونس أو لأنها غالية الثمن، إلا أنه يرجح هذا الاحتمال الثاني ضمنيا، كون العملة المتداولة في هذا البلد صعبة عكس مثيلتها في الجزائر: "نأخذ في

السيارة كل ما تحتاج إليه، حتى البنزين نشتري ما يكفينا من الجزائر"ص110. ينبني هذا المقطع السردي على الصيغة النحوية التالية:

(موضوع الجهة1 U ~~فا2 ∩ م3~~) (م ج2 ∩ فا2 u م3)

~~(م ج2 ∩ فا3 U م3)~~ ← (م ج2 U فا3 ∩ م3)

م ج2 = العملة الصعبة

م3 = الدينار

يحيل هذا الشكل، على نوع من الإبلاغ التساهمي المركب communication participative complexe الخاص بالتبادل: L'échange.

وهو يعادل أداء مزدوجا يمثل فيه كلّ من فا1 الزوج كما هو معلوم.

المعارف

و فا3 الضمير الغائب الذي يضم المهربون ص111 السوق السوداء

المهاجرون

غير ان هذا الإبلاغ في نموذجنا السردي غير متوازن كون صورة "الدينار" داخل النص علاوة على حملها قيمة سلبية فهي تحقق "اقتصاديا ونقديا" قيم الضعف والبخس في نظر المرسلين فا1 وفا2 الذين ضمن العقد الائتماني الرابط بينهما، يتفقان على المعرفة حول الكائن وعلى القيم المتبادلة على محور الإبلاغ ضمن البعد الذهني او المعارفي:

"بكم بدلوا لك الألف الفرنسية؟" ص113.

"بألف ومائتي دينار" ص113.

على المستوى العاملي، تتوزع الأدوار في مرحلة التحريك (الايعاز) كما يلي:

	مرسل إليه	مرسل	فاعل منفد	فا3 = فئة المهربين
فا1	+	+	0	فا4 = يحيل هذا العامل – المرسل
فا2	+	+	+	على المستوى المتجلي إلى الظروف
فا3	+	+	–	القاهرة المرتبطة بتأزم العلاقة الزوجية
فا4	0	+	0	التي دفعت الزوج إلى الانحراف

بالنسبة إلى فا1 فإنه يحتل على مستوى الإبلاغ دور المرسل، كونه المحرك لبرنامج الاقتناء، إذ أنه يفصح عن معرفة حول الكائن savoir sur l'être ضمن مسعاه لإيعاز فا2 على الأداء، و الزوج أيضا يعتبر مرسلا ذاتيا كما سيتضح من الملفوظ الآتي على لسان السارد:

"وبما أن السفر صار أمرا واقعا لا محالة و... وهو أمر لم يكن مستعدا له"ص111.

وجدير بالذكر أنّ طبيعة التحويل التي ترسي العلاقة بين الفاعل و فعله تتبني مثلما نلاحظ على جهة: عدم وجوب عدم الفعل ne pas faire ne pas devoir، و الفعل التأويلي التالي يفصح في الوقت نفسه عن تقويم الزوج لأدائه ويحمل ضمنيا وضعية المرسل التي يحتلها. إن هكذا تقويم، يجسّد عدم اقتناع الزوج بما أقدم عليه ويعرض – من منظوره – فشل برنامج سردي مضاد لا يكشف النص عن مضمونه بشكل صريح، غير أنه يأخذ الشكل الانفصالي:

(فا5 ∩ م2 ← U فا6) (فا5 U م2 ∩ فا6) ويمكن قراءته كالتالي:

م2 = الدينار أو ادخار الجزائر ص114

فا5 = الجزائر

فا6 = فئة المهربين، المحتالين والمجرمين + الزوج.

نستطيع من هذا المنظور إعادة صياغة النموذج العاملي من زاوية الزوج و المعطيات النصية التي توصلنا إليها أيضا، و تأسيسا على ذلك سيتيسر لنا تطويق التنوعات الدلالية المرتبطة بالتحولات السردية السطحية المترابطة narrative transformations corrélées:

المرسل: الزوج – قدرة الشرا | الاستقلال – الاستقرا

المرسل المضاد: القانون – التبديل

المرسل إليه: الزوج– المهربون – الآخرون **برنامج الادخار**

المرسل إليه المضاد: الناس

الفاعل المنفذ: الزوج– المهربون– الآخرون **ضد**

الفاعل المنفذ المضاد: ؟

الموضوع : **تبذير إدّخار** الجزائر **برنامج الإجرام أو المخالفات** الموضوع: **المحافظة على إدّخار** الجزائر

" عاد الزوج... لكنه في أعماق قلبه كان حزينا أنه أعقد على التبذير متعمدا. وأقدم على مخالفة القانون وتشجيع المهربين للعملة الصعبة مختارا" ص112.

إن صورة: التعمد – والاختيار تشيران هنا من منظور الزوج، إلى إرسائه لنفسه فاعلا منفذا مجيها بالقدرة على فعل عدم الفعل والفعل معا في مستوى الكفاءة الافتراضية والمحينة بالمرة.

ملاحظات إستنتاجية:

- ✓ ربما يتساءل المرء عن وجود العامل – القانون– في وضعيتين نحويتين متناقضتين (الفعل عدم الفعل على المستوى المنطقي)، فالقانون نفسه الذي يجبر الناس على احترامه، هو الذي يدفعهم إلى الإجرام كما يتبين من خلال الملفوظ الآتي: "فكر الزوج أن الستمائة دينار التي يسمح بها القانون... السوق السوداء" ص111 أو كذلك في "لو وسعت الحكومة في القانون لضيقت على المهربين"112.
- ✓ عدم نجاعة البرنامج المضاد وبقائه في وضعية افتراضية: بما أنّ القانون مجموعة واجبات فعل – وكذا فشل المرسل–القانون في إرسائه الناس فاعلا منفذا لبرنامج مضاد:إحترام القانون والانصياع للأوامر المضادة – يوحي دلاليا بتغير في مرجعية السيادة وفي مركز القرار.

يقول غريماس: "يمكن للمسار السردي للمرسل...، أن يظهر ليس كمجال تمارس فيه السلطة القائمة فحسب، ولكن كمكان تتشكل فيه مشاريع التحريك وتتأسس فيه البرامج السردية التي ترمي إلى حمل الفواعل – أصدقاء كانوا أو أعداء – على ممارسة الفعل المرجو..."[9]

إن هذا الطرح الشكلي يتطابق تماما مع الأيديولوجيا التي يحملها النص. والحال أن هذا الاختراق للمألوف الموازي لقلب المضامين فضائيا وحتى زمانيا، يمكن أن يعرض منطقيا كالآتي من خلال المقولات الضدّية التالية:

السوق الرسمية	ضد	السوق السوداء
سيادة الدينار	ضد	سيادة العملة الصعبة
اللاكائن	ضد	الكائن
الندرة	ضد	الوفرة

البخس	ضد	ضد	الكمين
الانسداد	ضد		الحركية
الغائب	ضد		السائد
الرسمي	ضد		المعمول به
الكفاءة	ضد		الأداء
المجرد	ضد		الملموس
الذابل(ص114)	ضد		اليافع
الاضطراب	ضد		الاستقرار

إن مسار انتهاك السيادة النقدية يأخذ منطقيا المنحنى التالي انطلاقا من أن:

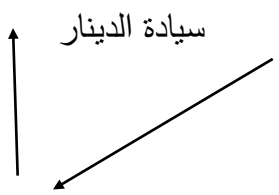

برنامج الاذخار يفتقد إلى مرسل – فاعل منفذ وبالتالي تمام برنامج التهريب.

ثم إن إعادة بناء المقطوعة النصية بهذه الكيفية، تقودنا إلى ما آلت إليه قيمية القصة Axiologie de nouvelle من اختلال ناتج عن خرق للنظم وللقوانين السائدة أدى إلى طهور علاقات مجتمعة واجتماعية sociales sociétales et بأقطاب جديدة تضع القانون الرسمي على جهة وتتبنى العرف كقوة مؤسساتية معترف بها لكن غير معلنة، مثلما يبرز في الشكل التالي:

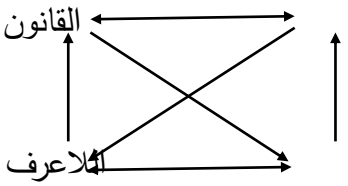

أ- على المحور التضاد لدينا القانون الذي يحكم العلاقات الرسمية المؤسساتية والذي آل إلى الانعدام (اللاكينونة = اللاقانون) لصالح العرف المتماهي على إثر ذلك في القانون الذي يحكم علاقات فعلية موازية.

ب-على محور الاستلزام، نجدنا أمام مفاهيم بدلالات جديدة انطلاقا من العمليات المنطقية التالية:

~~اللاعرف~~ القانون

~~اللاقانون~~ العرف

من الواضح أن هذه الرؤية تستند إلى بعض المقاطع النصية التي يتبادل التلفظ فيها كل من السارد تارة، والزوج وحتى الزوجة تارة أخرى:

- "لأن الدينار الجزائري أغلى من الفرنك الفرنسي.... في التبديل الرسمي" ص113.
- "العملة الصعبة.... لماذا على كالآخرين.... كما يفعل جميع الناس" ص108.
- "لو وسعت الحكومة في القانون لضيقت على المهربين... و أنقدت الدينار من الهوان..."

يتمفصل اقتناء الفرنك الفرنسي و بشكل مترابط، على مستوى الأنموذجي (ومع كل ما يعنيه أيضا على المستوى السردي من تحقيق للسفر ولقيم التحرر والحرية التي تستثمر فيه)["... لم ينقصها عن امتلاك حريتها كاملة إلا الدراهم" ص114، "ما إن ارتفع القيد حتى هب الناس... كما لو كانوا سجناء" ص114] مع الفصلة عن الدينار وعن القيم

المستثمرة فيه بصفته رمز للكيان الكائن وأيضا بصفته موضوع سلبي ينطوي على معاني "الاضطراب".

قائمة المصادر و المراجع:

[1]Joseph courtes, introduction à la semiotique narrative et discursive, méthodologie et application, Hachette, Paris, 1976 p

[2]Groupe d'entreverne, analyse semiotique des textes, introduction théorie-pratique, presse universitaire de Lyon, 1984, p8

[3]Voir joseph courtes, op.cit.

[4]

[5] مجلة الدراسات الأدبية، المعهد الوطني للآداب بقسنطينة.

[6]Claude Brémond la logique des possibles narratifs in analyse structurale du récit. Communication, seuil Paris, 1981, P67.

[7]

[8] Greimas (A. J), JOSEPH Courtés, sémiotique/ dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, Paris, 1979, *p 259*

[9]Greimas. Aj in sémiotique narrative et discursive, joseph courtes. P24